

الألم جسر الأمل أ.د. لطيفة حسين الكندري

إننا نتعلم ونرتقي بعدة طرق، واللحظات المريرة بأثقالها، والأيام القاسية بمصاعبها قد تكون جسرا لهندسة الأمل والتعلم؛ وخير أنواع التعلم التمكن من تطبيق مهارات الحياة. إن الخبرات المؤلمة بل الفواجع المباغثة قد تستنهض فينا الهمم الدفينة، وتنشط المشاعر المخزونة وقد تأخذ بأذهاننا وغرائزنا نحو منحنيات مرهقة ولكنها ترشدنا نحو التحليلات المستنيرة التي تغير عقولنا وواقعا نحو الأفضل. جفوة المعلم أو الأم أو المدير مذمومة ومنفرة ولكنها ربما فتحت للمتعلم الماهر المثابر مسارات ومهارات جديدة لا تعرف طعم الانكسار فتزيد من إصرار الشخص، وتنعش طموحاته، وترفع من سقف أهدافه.

لا تخلو حياة البشر - في فوعة الشباب أو المشيب- من لوعة الأوجاع ولكنها تجارب لا مفر منها ويمكن استثمارها لتغيير أنماط الفكر، وأساليب التعبير والتدبير واستحداث فلسفات رشيدة للتعامل اللبق مع مجريات الحياة بحلوها ومرها. المعاناة والأذى والمشاق لم يسلم من أخطارها أظهر وأذكى الناس ولهذا علينا توطين النفس على تعميق معاني الصبر المصاحب للتفاؤل والعمل الدؤوب لتصحيح المسيرة وإغنائها من دون كلل مصداقا للحديث النبوي الشريف "إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ قَسِيْلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا". ومن معاني القسييلة: النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ تُقَطَّعُ مِنَ الْأُمِّ أَوْ تُقْلَعُ مِنَ الْأَرْضِ فُتْغْرَسُ. الحياة بالمعروف فضيلة عظيمة فهي تعلمنا العيش مع الآخرين والتفكير في حفظ مصالحهم وعدم الغفلة عن نفعهم طالما في النفس رفق، وبقية روح. وهكذا تسمو الخواطر، وتسطع الشخصيات المرموقة في أفق المجتمعات القادرة على استخراج مظاهر الأمل من ركام الآلام. إن صناعة الفرحة وصياغة التفاؤل من أجزل الصناعات لمستقبل يشع بالأمل، وينشر قيم تعمير القلوب بالبهجة لا سيما في عالمنا الغارق بالتناقضات.

المطلب الأسمى لبني البشر تحقيق شروط السعادة والعيش الكريم وهذا الطريق تشوبه مكدرات لا تحصى قد تجرفنا تجاه الوقوع في بئر اليأس، ومناهة القنوط. ومن المخيف أن تقف في صف وجانبك من يحصي المصائب والضوائق ويعددها عدا، فيعيش خائبا خالي الوفاض. كلنا نمر بمواقف عصيبة وليس من الحكمة أبدا تقديم التنازلات والركون إلى السلبية وتخليد ذكريات الألم وتسجيل دقائقها المحبطة. الحياة الطيبة التي ننشدها تستثمر الأزمات لتخصيب أرض السعادة وترويض الروح

لتجاوز الآلام عبر احتساب الأجر، وتحسين طرائق العيش، والسعي من دون ملل لتقديم الأحسن.

من السهل الاستسلام للآئين والتفكير في الماضي والتحسر عليه واهدار أوقاتنا بالحديث عن آلامنا وضياع أحلامنا. لا يوجد شخص خاليا من المحن المالية أو الاجتماعية أو النفسية أو الصحية إلا أن توريث الثقافة السلبية عبر شحن الآخرين والتأليب والتأفف من الواقع هزيمة نفسية شنيعة. العظماء أناس ملكوا ناصية الصبر ولم تجتج نفسياتهم سيول الاحباطات والمنغصات بل استجابوا للتحديات بالسعي لتقديم الأجل الممكنون في فؤادهم، والمشحون في أرواحهم. الأفضل مهما كان بسيطا وقليلًا إلا أنه خير ألف مرة من الانزواء ونقد الواقع والاكتفاء بالانكفاء على الذات في كهف التذمر.

dr.latefah@yahoo.com

@dralkandery